Gleams of Islamic Civilization
Vol.1, No.2, March 2024, 141-166
(DOI) 10.22034/sic.2024.441034.1078

The Classification of Imam al-Ḥusayn's Mourning during the Era of al-Ṣādiqayn (Imam al-Bāqir and Imam al-Ṣādiq)

Sadegh Saeedian[1]
Adnan Razzaq Ali al-Sultani[2]
Seyed Mohsen Tabatabaei[3]

(Received: 2024 January 31; Accepted: 2024 April 09)

Abstract

Imam al-Ḥusayn's mourning rituals play a significant role in perpetuating Ḥusaynī beliefs. These rituals began following the martyrdom of Imam Ḥusayn (a) on the tenth of Muḥarram in the year 61 AH. Lady Zaynab (a) stood over the body of Ḥusayn (a), crying out, lamenting, and weeping, while the women from the descendants of Abū Ṭālib gathered around the blessed body on the battlefield. These mourning rituals continued along the entire route of the captives as the family of Imam Ḥusayn was taken to the Levant. At each city they passed through or stayed in, the captives would hold mourning gatherings, pointing and lamenting that this was the head of Ḥusayn, the son of ʿAlī b. Abī Ṭālib. After passing through Kufa, Lady Zaynab delivered a sermon in Kufa's mosque in front of ʿUbayd Allāh b. Ziyād, the governor of the city at the time. When they were sent to Yazīd b. Muʿāwiya as captives, the people initially thought they were prisoners from the Turks. However, after learning that they were the family of the Prophet Muḥammad (s), and following the eloquent speeches of Imam Zayn al-ʿĀbidīn (a) in Yazīd's palace, revealing the identity of the captives and the owner of the noble head—Imam Ḥusayn (a)—the people in the Umayyad Mosque turned against Yazīd. Thus, the remembrance of the Ḥusaynī tragedy became widespread during the time of Imam Zayn al-ʿĀbidīn, and

1. PhD student, Islamic History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran.
Email: sadegh3499@gmail.com
2. MA, Islamic History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran.
Email: alsultanyadnan76@gmail.com
3. PhD, History of Twelver Shiism, University of Religions and Denominations, Qom, Iran.
Email: taba_mohsen@yahoo.com

it continued until the eras of Imams al-Bāqir and al-Ṣādiq (a). Their primary focus became the mourning over Imam Ḥusayn (a) and the events of Karbala. Accordingly, the study seeks, through a descriptive-analytical method, to shed light on how Ḥusaynī mourning rituals were observed during the era of the two Imams al-Ṣādiqayn (a).

Keywords: Imam al-Ḥusayn's mourning rituals, historical development of mourning for al-Ḥusayn, classification of Imam al-Ḥusayn's mourning.

پژوهش‌های ادیانی
المجلد ١، العدد ٢، خريف وشتاء ١٤٠٣هـ.ش / ٢٠٢٤م، ص ١٤٣ - ١٦٦

تصنيف العزاء الحسيني في عهد الصادقين (عليهما السلام)

صادق سعيديان[١]
عدنان رزاق علي السلطاني[٢]
سيدمحسن طباطبائی[٣]

[تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١١/١١هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٤٠٣/٠١/٢١هـ.ش]

الملخص

يساهم العزاء الحسيني دورا كبيرا في ديمومة العقائد الحسينية. بدأ العزاء منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، في اليوم العاشر من المحرم من سنة ٦١ هـ، حيث وقفت السيدة زينب (عليها السلام)، على جسد الحسين (عليه السلام)، وصاحت، وناحت، وبكت، واجتمعت النسوة من بنات أبي طالب على الجسد الشريف في ساحة المعركة. استمرت هذا العزاءات على طول طريق السبي، والذي حمل عيال الإمام الحسين إلى بلاد الشام. فكان السبايا يقيمون العزاء في كل مدينة، يمرون بها أو يبيتون فيها، يشيرون نائحين إلى أن هذا هو رأس الحسين بن علي بن أبي طالب. وبعد مرورهم بالكوفة، ألقت السيدة زينب خطبة في جامع الكوفة أمام عبيد الله بن زياد، والي الكوفة، آنذاك. وبعد إرسالهم إلى يزيد بن معاوية كسبايا، ظن الناس أنهم سبايا من الأتراك، فبعد أن عرفوا أنهم من عيالات النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وألقى الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الخطب الغراء في قصر يزيد بن معاوية، وعرّف الناس بالسبايا وصاحب الرأس الشريف، ألا وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، انقلب الناس على يزيد في الجامع الأموي. وبهذا، فشاع استذكار مصيبة العزاء الحسيني في زمن الإمام زين العابدين، واستمرت حتى وصلت إلى الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)؛ حيث صار جلّ اهتمامهم هو العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام)، وما جرى في كربلاء. من هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة .من خلال المنهج الوصفي-الحليلي، أن تلقي الضوء على كيفية العزاء الحسيني في عهد الصادقين (عليهما السلام).

الكلمات المفتاحية: مراسيم العزاء الحسيني، المسار التاريخي للعزاء الحسيني، تصنيف العزاء الحسيني

---

١. طالب دكتوراه في قسم تاريخ الإسلام، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران (الكاتب المسؤول)sadegh3499@gmail.com
٢. حاصل على الماجستير في قسم تاريخ الإسلام، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران alsultanyadnan76@gmail.com
٣. حاصل على الدكتوراه في قسم تاريخ التشيع الاثني عشري، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران taba_mohsen@yahoo.com

١. المقدمة

كانت واقعة الطف الأليمة معركة غير متكافئة في العدة والعدد بين جيش يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والإمام الحسين (عليه السلام)، في ثورته سنة ٦١هـ، حيث انتهت باستشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه جميعا.

إن للعزاء الحسيني أهمية كبيرة من خلال ارتباطها بالعقيدة الشيعية؛ ومن ذلك، نريد أن نصنف طبيعة بداية العزاء الحسيني، ومراحل تطورها، وأشكال مراسيم تأبين الإمام الحسين، منذ اليوم الأول من استشهاده من قبل أهل البيت (عليهم السلام)، في السنة الحادية والستين من الهجرة النبوية الشريفة.

وأول من أقام المأتم الحسيني على شكل نواح وبكاء في بادئ الأمر هو الإمام زين العابدين (عليه السلام)، والسيدة زينب (عليها السلام)، حيث أقاما المأتم في بلاد الشام، عند وصولهما إلى مجلس يزيد بن معاوية. وكذلك عندما عاد الأسرى من الشام إلى المدينة، قالا (عليهما السلام)، إلى الحادي بأن يمر بهم على أرض الطف لمشاهدة قبور شهدائهم، فتمت إقامة مأتم عند قبر الإمام الحسين. وبعدما رجع عيال أهل البيت إلى المدينة المنورة، أقيم هناك مأتم على الإمام الحسين. وعند سماع أهل المدينة بكاء السيدة أم سلمة على الحسين، والتي كانت قد تنبأت بمقتله في المنام، وبعد إعلان الحكومة نبأ استشهاد الإمام الحسين، أقام بنو هاشم مأتما في المدينة المنورة، وأقام محمد بن الحنفية ونساء بني هاشم وبنات عقيل مأتما آخر، وأقامت عزاءاتٍ نساءُ الإمام الحسين وأم البنين التي كانت قد ثكلت أربع أولاد، على رأسهم العباس بن علي (عليه السلام)، وأقام مأتما التوابون في الطريق، عندما نزلوا قبر الإمام الحسين، ثم ذهبوا إلى قتال أهل الشام، وأيضا أقيم مجلس عزاء في بيت يزيد بن معاوية من قبل النسوة المسبيات. وكان هذا له وقع كبير في ذلك الوقت بين الناس؛ ذلك لأن كثيرا من الشاميين كانوا يجهلون بمن هم هؤلاء؟!

كان الإمام زين العابدين (عليه السلام)، أول من ارتقى المنبر في مجلس يزيد، وناح على الإمام الحسين (عليه السلام). وبذلك، يعتبر النياح والعويل هو أول بوادر العزاء الحسيني في ذلك الوقت. ومن بعد ذلك، استطاع الإمامان الباقر والصادق (عليهما السلام)، بناء أركان مأتم العزاء الحسيني، والذي اتسعت دائرته في عهد الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) بشكل ملحوظ.

بعد فشل الكثير من الثورات التي حدثت بعد واقعة الطف، مثل ثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة زيد، وواقعة الحرة، كان للإمام الباقر (عليه السلام)، دور كبير في استذكار مصيبة الحسين (عليه السلام)، وإقامة العزاء، حيث قام بتشجيع الشعراء على الرثاء وإقامة المأتم وإحياء يوم عاشوراء من كل سنة، واقترح كون يوم عاشوراء عطلة رسمية؛ لأن هذا اليوم لا تقضى به الحوائج، وهو يوم نحس، وكذلك نبّه الشيعة على أن المأتم والمجلس الحسيني هو من الأمور التي تعين الشيعة على دينهم في دنياهم.

أراد الإمام الباقر (عليه السلام)، أن يستغل الفرصة، ويقيم العزاء والمأتم الحسيني في بيته. بذلك، كان له دور كبير في تصنيف وإضافة شيء جديد للعزاء على سيد الشهداء، وهو إقامة مجلس رسمي يذكر فيه ما جرى على أهل البيت في واقعة الطف، وأخذ الدليل على ذلك من بكاء الإمام زين العابدين على مصيبة الحسين.

وكان فارق الوقت بين عصر الإمام الباقر وواقعة الطف، فاصلا زمنيا يقدر بثلاث عقود، حيث استطاع الإمام الباقر أن يجمع محبي أهل البيت في تلك المجالس، ويحثّهم على إقامة المجالس والعزاء في بيوتهم. بذلك ظهرت للمأتم الحسيني أهمية جديدة وتوسيع جديد في تصنيف العزاء الحسيني، واستطاع الناس أن يقيموا مثل هذه المجالس في أماكن عديدة، لم تكن فقط في بيوت أهل البيت فقط.

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أيضا أنه كان يحثّ على زيارة الإمام الحسين في يوم عاشوراء والبكاء والتباكي عليه، وكان يعمل على تثبيت دعائم المأتم الحسيني،

وكان يشجع الناس على ترك الملذات في يوم عاشوراء وإقامة المأتم، ولو بشكل منفرد. وأما في أيام الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام)، فكان الشيعة قد عرفوا ضرورة إقامة المأتم على الإمام الحسين. فصارت الأرضية مهيئة لإقامة الشعيرة، حيث اقتفى الإمام الكاظم على أثر أبيه في سنّ الشعيرة، وقام بحثّ الشعراء على رثاء الإمام الحسين، وعمد إلى سن الأيام الأوائل من شهر محرم لإقامة العزاء على مصيبة الإمام الحسين، ووضع للشيعة آداب المأتم الحسيني وكيفية إقامته بالشكل المطلوب، رغم وجود مضايقات في أيامه من قبل الحكام العباسيين. وبذلك لم يصلنا الكثير من الروايات بسبب هذا العمل.

ومن جملة الجهود الحثيثة للإمام الرضا (عليه السلام)، يمكن الإشارة إلى أنه ركز على السعي إلى إرساء تعاليم الأئمة السابقين، وانصب على لفت اهتمام الشعراء إلى ذلك، ومنهم دعبل الخزاعي الذي ألقى قصيدته المعروفة في مجلس المأمون، مما يدل على وجود أرضية مناسبة لتثبيت المأتم الحسيني في ذلك الوقت.

زد على ذلك، فإن الإمام الرضا عمل على نشر المأتم الحسيني وتوسيعه، وذلك عبر الحث على استذكار مصاب أهل البيت بشكل يبكي المرء ويبكي من يجلس في المأتم، كما استن بسنة أبيه بأن يكون المأتم في العشر الأوائل من شهر محرم وصولاً ليوم المصيبة، وهو اليوم العاشر من المحرم. بعد اتضاح الصورة الحقيقية للمأتم الحسيني في عهد الإمامين الكاظم والرضا، أي منذ تأسيس المأتم، حتى أواسط القرن الرابع، أخذ المأتم طابعا رسميا، فتكونت أغلب أنماط مراسيم العزاء في العهد البويهي، حيث انتشر المذهب الشيعي، وبلغت هذه المراسيم ذروتها في الدولة الصفوية، حيث انتشر المذهب الشيعي الاثنا عشر كمذهب رسمي.

مهما يكن من شيء، فإن العزاء بعد استشهاد الإمام الحسين كان يصنف على شكل بكاء ونحيب على جسد المولى. فبعد ذلك، تطور العزاء الحسيني في مرور الأيام من عصر إمام إلى آخر، حتى دخل النعي والرثاء في تلك المجالس والقصائد. وبعدها، تطور إلى عقد مجالس للعزاء، ولو لأفراد العائلة فقط أو الشخص وحدة.

وكان من ديدن الأئمة هو جعل العزاء الحسيني شعيرة دينية، وإقامة المجالس والعزاءات الحسينية. كان العزاء على شكل مجالس بكاء ونحيب من قبل السيدة زينب (عليها السلام)، في يوم استشهاد الإمام الحسين، وكانت النسوة تشاركها للبكاء والعزاء. وفي عهد الأئمة، أصبح العزاء شعيرة، وعلى شكل مأتم ومجالس، يذكر فيها ما حدث في أيام واقعة الطف وما جرى على الإمام الحسين ورثائه.

وقف العديد الوفير من الخلفاء الأمويين والعباسيين، ضد إقامة مثل هذه المجالس واستذكار واقعة الطف؛ لأن ذلك كان إدانة لحكمهم. ولكن البويهيين والصفويين اتخذوا من المذهب الشيعي مذهبا رسميا لدولتهم.

مهما يكن من شيء، فتسعى هذه الدراسة إلى تبيين أن لمراسيم العزاء أهمية بالغة في إحياء قيم وأهداف النهضة الحسينية، وأن الثورة الحسينية هي الركيزة الأساسية لكل الثورات ضد الظلم في كل العالم وفي جميع الأزمنة، وتحاول الكشف عن ما وقع من ظلم على أهل بيت، وتتناول ماهية العزاء الحسيني منذ استشهاد الإمام الحسين وكيفية إقامة المراسم، وتتطرق إلى أن للعزاء الحسيني دورا بالحفاظ على العقيدة الشيعية، وتتصدى لتوضيح كيفية العزاء الحسيني والمراسيم الأصلية والدخيلة.

ومن ثمرات البحث هو نشر الثقافة الإسلامية بين أوساط الناس، والجمع بين العقل والعاطفة في توازن الحياة الاجتماعية، وجعل المجالس الحسينية محطة لالتقاء المؤمنين والاجتماع في أماكن خيرية واستذكار مصاب الإمام الحسين في واقعة الطف.

٢. العزاء لغة واصطلاحا

إن العزاء لغةً مشتق من كلمة «عزى»، وهو فعل، ويعني الصبر على المأساة والمصائب. ويكون العزاء أيضاً بمعنى الصبر عما فقده الإنسان. وقد يأتي بمعنى تعزى تعزيا، أي تصبر تصبراً، وأيضاً تأتي بمعنى تعازي القوم، أي عزا بعضهم بعضا، والقول عزيت فلان، أي

أسيته (ابن منظور، ١٤١٤١هـ، ج ١٥، ص ٢٦). زد على ذلك، أن مقدرة الشخص للصبر على المصائب هو المعنى اللغوي لكلمة العزاء، كما يقولون: نعزي فلان، أي نصبره على ما أصابه وما أنابه. والعزاء هو الصبر نفسه عن كل ما فقدت؛ فـ«العزاء ممدودا الصبر، يقال: عزى يعزي من باب تعب صبر على ما نابه، وأراد بالتعزي بعزاء الله التصبر والتسلي عند المصيبة» (الفيض الكاشاني، ١٤١٦هـ، ج ٤، ص ١٢٤).

وأما العزاء اصطلاحاً، فهناك تفاسير لهذه الكلمة من خلال خطاب الإمام الحسين مع السيدة زينب. قال الحسين: «يا أختاه، لا يذهبن حلمك الشيطان، تعزي والأرض يموتون، وكل شيء هالك إلا وجهه» (ابن نما الحلي، ١٤١٦هـ، ج ٢، ص ٣٤). ومنه الحديث النبوي: «من تعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهن أبيه، ولا تكنوا ...» (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٣٢، ص ٩١).

٣. تصنيف العزاء الحسيني في عهد الإمام الباقر (عليه السلام)

إن تأسيس المأتم والعزاء الحسيني من قبل أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، من باب أن المأتم الحسيني هو من الشعائر الدينية. وكان ذلك من خلال قيام الإمام زين العابدين بإعداد الأجواء والأرضية التي تناسب إقامة المأتم الحسيني في المدينة وكيفية النهوض به، وسن هذا العزاء للعامة وطريقة إقامة المجالس في بيوت آل البيت. تصنف العزاءات في عهد الإمام الباقر (عليه السلام)، إلى أنواع، هي:

١.٣. البكاء

وكانت الانطلاقة الحقيقية في تشيد أركان المراسيم والعزاء الحسيني بين الناس، ما ذكره الإمام السجاد (عليه السلام)؛ إذ قال: «أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين دمعةً حتى تسيل

...» (الحر العاملي، د.ت، ج ١٠، ص ٣٩٢). كان الإمام زين العابدين قد أرسى قواعد المأتم الحسيني، من خلال حثّ الأصحاب وأتباع أهل البيت على المداومة على البكاء والعزاء. قال الباقر (عليه السلام)، لرجل:

> أتخلون، وتتحدّثون، وتقولون ما شئتم؟ قيل: إي والله، قال: أما والله، لوددت أنّي معكم في بعض تلك المواطن. وقال عليه السّلام: أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا. وقال عليه السّلام: من ذكرنا أو ذكرنا عنده، فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له. وقال الصادق عليه السّلام: تزاوروا، وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه (الحر العاملي، ١٤١٢هـ، ج ٥، ص ١٣٧).

قام الأئمة الطاهرون بالحث على جعل اليوم الأول من المحرم يوم بداية الحزن. وكان الحزن تصاعدياً إلى نهاية اليوم العاشر من المحرم. فشجع الأئمة الناسَ على تأدية زيارة الحسين والتذكير بعظيم المصيبة وأهمية ذلك اليوم وإحيائه (ابن بابويه، ٢٠١٦م، ص ٢٢٥)، وحرصوا على الابتعاد في ذلك اليوم عن الملذات والملاهي وعدم تناول الطعام والشراب إلى غروب اليوم العاشر من المحرم من كل سنة (الطوسي، ١٩٩١م، ص ٧٧٣).

من اللافت أن ما قاله الإمام الباقر، كان أرضية لانطلاق المأتم الحسيني، والعمل على استمرارها بين أوساط الناس، والتحفيز على أن يجتمعوا على الدوام من أجل البكاء عليه (الصدر، ١٤٣٠هـ، ص ١٠٨)، والنحيب لاستذكار ما حل بكربلاء. فحث الإمام على البكاء، ثم قال: من ذكرنا أو ذكر بنا، ويخرج من عينه قطرة ماء حزناً، ولو بقدر جناح بعوضة، بنى له الله بيتا بالجنان، فيكون ذلك الدمع يحجبه عن النار، ودعا اللّٰهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه ومات.

شجّع الإمام الباقر أصحابه وأتباعه على البكاء على مصاب جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين ومن استشهد معه من أهل بيته الطاهرين، وكذلك ثلة من أصحابه الأبرار، من

أجل أن تتجذّر الرابطة العاطفية بهم في المشاعر الوجدانية لدى التابعين من الموالين لأهل البيت، وكان يقول: «من ذرفت عيناه على مصاب الحسين، ولو مثل جناح البعوضة، غفر الله له ذنوبه» (جماعة من المؤلفين، ١٤٣٠هـ، ج ٧، ص ١٦٢). بذلك، أعطى وزنا كبيرا للمجالس وإقامة العزاءات.

وأما أهل البيت وشيعتهم، فكانوا يجتمعون يوم عاشوراء من كل عام في أحد بيوت الأئمة، ويقيمون تلك المجالس المملوءة بالشعر والرثاء الغزير بالعواطف والأحاسيس الحارة، والتي كان يستحضر فيها أحد الشعراء مأساة الطف وما حصل فيها من الألم والحزن.

٢.٣. المجالس الحسينية

بعد أن مرّ على واقعة الطف الخالدة ثلاثة عقود تقريباً، بدأت إمامة محمد بن علي الباقر. وبهذا الوقت، قد كان هناك جيل جديد من الناس كانوا يجهلون ما حدث في كربلاء. وفي الفترة التي أعقبت استشهاد الإمام الحسين، وتسلم الإمام الباقر الإمامة عن أبيه زين العابدين، ظهرت العديد من الثورات الشيعية التي نادت بالثائر للإمام الحسين. فهي كانت نتيجة طبيعية لتأثر هذه الفئات بالواقع الحسيني من خلال إقامة العزاء والمأتم الحسيني، وشحذ الهمم، وجعل هذه المنابر مركز إشعاع لبثّ روح الثورة في نفوس الناس العاديين وعدم الخنوع للظلم والعدوان، مستلهمين هذه العقيدة من الثورة الحسينية في يوم الطف الخالد.

والجدير بالذكر أن بعض المآتم الجماعية كانت تلقائية بسبب تأثرها بحجم المصاب الذي وقع على أهل البيت من مأساة في يوم الطف في كربلاء سنة ٦١هـ. وكانت هذه التجمعات لها أثر كبير في أن تكون نواة أولى في تشييد المأتم الحسيني في ذلك الوقت، وكانت ركيزة أساسية لإقامة المجالس والأوساط الدينية واستذكار الثورة الخالدة وتثبيت أركانها.

من اللافت للذكر أن الأئمة المعصومين هم من أرسوا قواعد المأتم الحسيني، وأخذوا على عاتقهم تنظيم مجالس العزاء بشكل منتظم، لترسيخ مبادئ المأتم الحسيني وأسسه والعمل على جعله شعيرة دينية. مما يسترعي الانتباه أن هذه المجالس تطورت عبر الزمن، بحيث أصبحت مؤسسة علمية وثقافية تمتاز بالأعراف والتقاليد الإسلامية وتوجيه الناس إلى الاتجاه الصحيح والأخذ بأيديهم إلى تعاليم الدين الإسلامي التي جاء بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

لقد روي عن الإمام الباقر، أنه كان يفضل إقامة العزاء والبكاء والنياحة على الحسين (عليه السلام)، وكان يحث الأتباع والموالين على إقامة العزاء في بيوتهم. في الحقيقة أن الإمام الباقر لم يكن يعمل على إقامة المجالس الحسينية بشكل علني كبير، بل كان يأخذ جانب الاحتياط والحذر خوفاً من التصادم مع السلطة الأموية الجائرة؛ لأن الأمويين كانوا يضايقون أتباع أهل البيت والأئمة، وكانوا يمنعونهم من نشر تعاليم الثورة الحسينية؛ بذلك كان طلب الإمام الباقر من أتباعه إقامة المأتم بشكل مختصر وبقدر ما تسمح به الظروف. زد على ذلك، أن الإمام طالب بأن يكون اليوم العاشر من المحرم هو يوم عطلة رسمية، ويكون يوم عزاء عام، وحث الشيعة على أن المأتم الحسيني أمر يعينهم على دينهم في دنياهم، ويقربهم يوم القيامة من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يلاحظ أن الإمام الباقر كان له دور كبير في تعريف الناس بآل علي، وكان له تأثير أكبر من أبيه الإمام زين العابدين في الأوساط الاجتماعية والعلمية، وكان مركزاً علمياً لا مثيل له في ذلك العصر. ومن هذا، استغل الإمام الباقر هذه الفرصة، لدعم المأتم الحسيني وإقامة هذه الشعيرة، وبذل جهودا جهيدة لإقامة المجالس في بيته (المسعودي، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ١٤٢؛ الخزاز القمي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٨).

في الحقيقة أن الإمام الباقر اقتدى بما ورد عن أبيه الإمام زين العابدين. ففي عهد الإمام الباقر، بدأ المأتم الحسني يأخذ شكل المجلس الهادف والمنظم، وانتشر هذا بشكل

واسع بين أوساط الناس، وبالتالي وفر أرضية مناسبة لإقامة المجالس الحسينية في عهد الإمام جعفر الصادق. ففي عهده، انتشرت هذه المجالس بين عامة الناس، حيث كانت تقام العزاءات في المحافل والمناسبات بصورة منتظمة؛ ومن ذلك، صار المأتم مألوفا في أوساط الناس.

مضافا إلى ذلك، فكان الإمام الباقر يحث أتباعه على إقامة المجالس الحسينية في بيوتهم، ولو كان عددهم قليلا؛ فكان هذا نوعا من التطور في إقامة المجالس الحسينية وإنشاد المراثي وعقد المجالس بصورة مستمرة؛ لأن الفترة التي تلت واقعة الطف، كانت كفيلة بأن تزيل الأخبار والروايات عن حادثة استشهاد الإمام الحسين، وخصوصاً أن بني أمية كانوا يحاولون مضايقة الأئمة بعدم إظهار الحقيقة التي استشهد من أجلها الإمام الحسين، من خلال منعهم من إقامة المجالس بشكل علني، ومطاردة أتباعهم، وأحيانا سجنهم حتى على الشبه.

٣.٣. جعل المجالس كشعيرة دينية

استطاع الإمام الباقر (عليه السلام)، أن يجعل المأتم الحسيني عبارة عن شعيرة دينية خالصة. وقد ورد عنه (عليه السلام)، أنه كان يحث على البكاء على مصيبة سيد الشهداء وربطه بالشعيرة الحسينية، لدرجة كان له دور كبير بعد وفاة أبيه الإمام زين العابدين من إظهار العمل على تأسيس المأتم الحسيني بأحسن صورة واستذكار مأساة الطف وإظهارها للعامة.

ورغم هذه الضغوط والقوة والاضطهاد، كان أهل البيت مصرّين على مواصلة إقامة المأتم الحسيني، وبذلوا جهداً كبيرا في تشجيع شيعته على التمسك بالإمام الحسين وإحياء المأتم. فقد روى الجهني عن الإمام الباقر أنه قال: «من زار الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، حتى يظل عنده باكياً، لقي الله يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة، وألفي

ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة، كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله» (حب الله، ٢٠١٥م، ج ٢، ص ٢٨٢). ويذكر الجهني: «قلت: ومن كان في بلاد بعيدة، ولم يستطع الحضور في يوم عاشوراء عند الحسين (عليه السلام)؟ قال: ليخرج إلى الصحراء، أو يصعد سطحا مرتفعا في داره، ويؤمي إليه بالسلام» (ابن قولويه، ١٤١٧هـ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٥).

استطاع المختار الثقفي في ثورته، القضاء على قتلة الإمام الحسين في أيام ثورته؛ ولكن هذا لم يجعل الإمام الباقر يلتزم بالسكوت، ولم يجعل القضية الحسينة تضيع في غياهب النسيان والتهميش، بل كان يتحين كل فرصة أو وقت مناسب لكي يقيم العزاء والمجالس على سيد الشهداء، ويذكر ما حلّ بأهل البيت في يوم الطف. فهو بذلك كان يروم إلى سنّ المأتم الحسيني كشعيرة دينية متوارثة تكون ركيزة أساسية للدين الإسلامي ورافد علمي ينهل من هذه المجالس التي يقودها الأئمة في وقتهم، وتعليم الناس العلوم، وبث ذلك العلم بينهم، واستقطاب العلماء من جمع المعمورة، لينهلوا من علوم آل محمد (عليهم السلام).

وبهذا الأسلوب، كان للإمام الباقر دور كبير في إرساء تلك الدعائم والمرتكزات من تثبيت الشعائر الحسينة والمجالس على أشكال متعددة، منها النياحة والبكاء وإقامة المجالس، ولو بشكل مختصر. ينم هذا الأسلوب عن إعطاء الإمام الباقر أهمية كبيرة واهتمام خاص لتلك الشعائر وضرورة ديمومتها وتنظيمها، لدرجة أنه كان يحث الناس على إكرام من يقوم بإلقاء شعر رثائي لمصيبة الحسين (عليه السلام)، واستذكار مأساة الطف وما جرى على أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، من الجور والاضطهاد والعدوان.

٤.٣. الشعر الرثائي

اهتم الإمام الباقر (عليه السلام)، بالشعر الرثائي، وجعله وسيلة لنقل ما جرى في أرض الطف على الإمام الحسين وأهل بيته الكرام؛ بذلك كان يحث الشعراء على رثاء سيد الشهداء الإمام

الحسين؛ فمثلا، يذكر الكميت عن الباقر (عليه السلام)، قال: دخلت على سيدي الإمام الباقر، فقلت: سيدي، يا ابن رسول الله، إني قد مدحتكم بأبيات من الشعر، فأذن لي بإلقائها عليكم، فقال (عليه السلام): إنها أيام البيض، قلت: إنها فيكم خاصة، سيدي، فقال: هات ما عندك، فأنشأت أقول:

أَضْحَكَني الدَّهْرُ وَأَبْكاني وَالدَّهْرُ ذو صَرْفٍ وَأَلْوانِ
لِتِسْعَةٍ بِالطَّفِّ قَدْ غُودِروا صاروا جَميعاً رَهْنَ أَكْفانِ

(الأمين، ١٩٨٣م، ج ٩، ص ٣٧؛ المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٣٦، ص ٣٩٠؛ ابن شهر آشوب، ١٣٧٥هـ، ج ٤، ص ١١٧؛ الخزاز القمي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٨).

فصار يبكي (عليه السلام)، وسمعتُ جارية تبكي من وراء الخباء، فلما بلغت إلى قولي:

وَسِتَّةٌ لا يُتَجازى بِهِمْ بَنو عَقيلٍ خَيْرُ فُرْسانِ
ثُمَّ عَلي الخَيْرِ مَوْلاهُمْ ذِكْرُهُمْ هَيَّجَ أَحْزانِي

بكى، ثم قال: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده يخرج من عينيه ماء، ولو مثل جناح البعوضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة، وجعل ذلك الدمع حجابا بينه وبين النار (ابن شهر آشوب، ١٣٧٥هـ، ج ٣، ص ٢٦٢).

وإن الظرف الذي عاش فيه الإمام الباقر، كان قاهراً جداً، حيث إن كل من كان يوالي هذا الإمام ويطهر الحب له، كان يتحمل عواقب الأمور ومتابعة السلطات الحاكمة في وقتها. فمن الطبيعي أن المأتم الحسيني في عهد الأئمة (عليهم السلام)، كان له دور بارز في الحفاظ على

ثورة الإمام الحسين، وما نتج عنها، والبقاء على أهدافها، وتوارثها من جيل لآخر عبر الزمن. ومن هذا، نستطيع القول إن الإمام الباقر انطلق من قوله:

> رحم الله عبداً اجتمع مع آخر، فتذاكروا في أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا، إلّا باهى الله بهما الملائكة. فإذا اجتمعتم، فاشتغلوا بالذّكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا (الطوسي، ١٤١٤هـ، ص ٢٤٤).

وكانت فرصة إقامة المأتم الحسينية في زمن تولي الإمام الباقر الإمامة، أكثر من زمن والده، الإمام زين العابدين. وهذا يعود إلى كثرة عدد الموالين والمحبين من شيعته، وأيضا توافد أعداد كثيرة من الطلبة الذين جاءوا من أجل أن يأخذوا من علم الإمام الباقر.

لا يفوتنا أن الإمام لم يسمح للشعراء في وقته أن يجهروا بقصائدهم؛ بذلك شاع في عصره لون أدبي خاص سمي بالمكتمات. فإن المراد بها، هو ذلك الشعر الذي كان يكتم في الصدور، وكان تعبيراً عن نفس مكتوم يُنفّس الشاعر به عن هواجسه وأحاسيسه؛ لأن أصحابه كانوا يناهضون به دولة بني أمية، ويقفون إلى جانب الحركات المعارضة الناشطة في الكوفة (الحلو، ١٤١٩هـ، ص ٧).

٤. تصنيف العزاء الحسيني زمن الإمام الصادق (عليه السلام)

١.٤. البكاء

كان يصر الإمام الصادق (عليه السلام)، على أن يكون للبكاء والنياحة دور كبير في إقامة المجالس الحسينية التي كانت تقام على مصيبة الإمام الحسين وأهل بيته في أوساط المسلمين، وان كانت بسرية، خوفا من بطش الدوله العباسية آنذاك. وكان أول الشعائر الحسينية والعزاء على الإمام الحسين، هو النياحة والبكاء لاستذكار المصيبة وإثارة العواطف والأحاسيس منذ اليوم الأول من استشهاده في معركة الطف. قد روي عن الإمام الصادق أنه قال: روي

عن السيدة أم سلمة أنها «أصبحت يوما تبكي، فقيل لها: مم بكاؤك؟ قالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة» (السماوي، ١٤١٩هـ، ص ١٣).

وكان للبكاء امتداد لما قام به النبي محمد (ﷺ)؛ إذ اتفقت كتب الحديث والروايات. سواء كانت من مؤلفات الشيعة أم من مصنفات أهل السنة. على أن جبرئيل أوحى إلى النبي (ﷺ)، بنبأ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ومكان استشهاده. فـ«من إنذاره ما رواه عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يوحى إليه، فبرك على ظهره، وهو منكب، ولعب على ظهره، فقال جبريل: يا محمد، إن أمتك ستفتن بعدك، ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده، فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض، يقتل ابنك اسمها الطف. فلما ذهب جبريل، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر، وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أن فيها مضجعه» (الماوردي، ١٤٠٩هـ، ص ١٣٨). ويضيف السيد محسن العاملي على ذلك بقوله: «وعندما رأى الصحابة أن رسول الله (ﷺ)، يبكي لقتل ولده الحسين (عليه السلام)، وهو يمسك تربته بيده، وقد أخبرهم بما أخبره جبرئيل عليه السلام، من قتل الإمام الحسين في أرض الطف، أخذتهم الرقة الشديدة، فبكوا لبكائه» (السيوري، ١٣٩٦هـ، ص ٥٩٩).

٢.٤. توسيع مجالس العزاء

رغم الضغط الحكومي على مراسيم ومأتم الحسين منذ استشهاده، وسعي الأمويين إلى التكتم والتقليل من نقل الأحداث والوقائع التي حصلت في اليوم العاشر من المحرم من سنة ٦١هـ، إلا أن الأئمة (عليهم السلام)، كان يصرون على جعل هذه المأتم على شكل شعيرة وإرساء قواعدها بين الناس وموالي أهل البيت.

كان الإمام الصادق (عليه السلام) يحرص على توسيع مجالس العزاء؛ إذ نراه حدد الطرق التي يمكن من خلالها إقامة مراسم العزاء والمأتم الحسيني وإعطاء خصوصية لها. لقد روى الفضيل: أن الإمام الصادق (عليه السلام) سأله، وقال: سمعت أن أناس يأتون كربلاء، قاصدين قبر جدي الإمام الحسين (عليه السلام)، من أهل الكوفة ومن غيرهم، يوم النصف من شهر شعبان، وفيهم من يقرأ ومن يقص أحداث الطف وما فيها من ألم وحزن، وآخرون يندبون ويقولون المراثي، فقال الفضيل: نعم، فداك روحي، قد رأيت بعض ما ذكرت، فقال لي الإمام الصادق (عليه السلام): «الحمد لله الذي جعل في الناس من يأتي إلينا، ويمدحنا، ويرثينا» (ابن قولويه، ١٤١٧هـ، ص ٣٢٦).

مهما يكن من شيء، فعمل الإمام الصادق (عليه السلام)، على تنظيم هذه المجالس والأمور المتعلقة بها وأسلوب انتشارها. فعبر تلك الجهود الدؤوبة، تحول المأتم في تلك الفترة إلى أداة لجأ إليها الأئمة وأتباعهم لعداء العباسيين وبيان المواضيع المكتوبة التي كان تقرأ في المجالس الحسينية والروايات التي كانت تنقل عن الأئمة المعصومين في فضل الزيارة والالتزام بها والبكاء على مصيبة الحسين (عليه السلام).

٣.٤. إظهار الحزن عن طريق الشعر والرثاء

تميز المأتم في عهد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)؛ إذ انتشرت كثير من المجاميع الشيعية للتحدث بالأحاديث التي كانت تروي ما جرى يوم عاشوراء في كربلاء، وتقص ما وقع في الطف بطريقة الرقة لإثارة العواطف والأحاسيس، كما طلب الإمام الصادق (عليه السلام) من أبي هارون المكفوف، عندما جاء إليه، إنشاد بعض أبيات الرثاء على الإمام الحسين، فقال له الإمام الصادق: أنشدني، كما تنشدون في الرقة، قال: فأنشدته:

أُمُرُّ عَلى جَدَثِ الحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّهْ

(شبر، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٣٤).

فبكى الإمام (المامقاني، ١٣٥١هـ، ج ١، ص ٦٥). فهي من قصائد الشاعر السيد الحميري، والتي هجا فيها زياد بن أبيه وبنيه فيها. فبسبب هذه القصيدة، حبسه حاكم الكوفة، عبيد الله بن زياد، وقام بتعذيبه. وقد استنكر الناس في العالم الإسلامي لما فعله يزيد من التغاضي عن إظهار الشيعة للحزن على الإمام الحسين (عليه السلام)، وعن اجتماعاتهم من أجل الحزن وإقامة المأتم. في هذه الأثناء، اغتنم الشيعة الفرصة للإكثار من الاجتماعات التي كانوا يذكرون فيها الحسين (عليه السلام)، وما جرى عليه في يوم عاشوراء في أرض كربلاء، فكانوا ينشرون ذلك بطريقة الشعر والنثر.

ذكر أن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: «إن تلك المجالس أحبها، أحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا، فإن من جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ٢٨٢). وهذا الحديث ذكره الفضيل بن يسار: قال الإمام الصادق: هل تجلسون وتتحدثون في أمرنا، فأجابه: نعم، يا ابن رسول الله، فقال الإمام الصادق (عليه السلام): هذه المجالس أحبها، فأحيوها (الحر العاملي، د.ت، ج ١٠، ص ٣٩٨). في الحقيقة، أن الإمام الصادق ذهب مذهب أبيه الإمام الباقر (عليه السلام)، واقتفى أثره في إقامة المأتم الحسيني وحرص على إقامته. بما أن فترة إمامة الإمام الصادق كانت مصادفة لسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، فهذا الفراغ الحاصل بين الدولتين هيأ أرضية خصبة للإمام الصادق حتى يقيم المجلس والمراسيم الحسينية بشكل أكبر مما كان عليه الأئمة (عليهم السلام) من قبله؛ وذلك يعود إلى ضعف الدولة والسلطة في فترة من الزمن.

وكانت طريقة إقامة العزاء هو أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان يطلب من الشعراء في عصره والموالين منهم، بأن ينظموا الشعر الرثائي بحق جده الإمام الحسين (عليه السلام). ولقد روي في هذه المجالس من الرثاء، أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان يدعو النساء من أهل بيته إلى المشاركة والاستماع إلى رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، من خلال وضع ستار يجلسن خلفه للاستماع إلى ما كان يقرأ في العزاء.

٤.٤. العزاء كشعيرة دينية

استغل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، الأوضاع السائدة في عصره، وبدأ بترسيخ أركان المأتم الحسيني، حيث جعل منه قاعدة لبناء المدرسة الجعفرية الشيعية وانهيال العلماء والناس عليه من كل بقاع الأرض، لينهلوا من منهل علومه الوفيرة ومعارفه الغزيرة، وتمكن من إثارة النشاط والحرية في التجمعات الشيعية وتحفيز الناس على إقامة المأتم الحسينية بشكل منتظم.

على أساس ما وصل إلينا من أعمال الإمام الصادق (عليه السلام)، في تثبيت أركان المأتم الحسيني، يتبين لنا أنه (عليه السلام)، قد رسم بوضوح كيفية تكون هيكلة العزاء والمجالس الحسينية، وأن ما ورد عنه (عليه السلام)، يكون لبنة أساسية لإقامة المأتم الحسيني إلى يومنا هذا.

في الحقيقة التي لا مراء فيها أن الإمام (عليه السلام)، كان يصب اهتمامه على إحياء يوم عاشوراء، وكان يركز على فضل وأجر زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) (ابن قولويه، ١٤١٧هـ، ص ٢٣٨)، وكان يلحّ على تذكير الناس بعظيم المصاب في كربلاء وأهمية هذه الثورة ضرورة المداومة على إحيائها. زد على ذلك، أنه (عليه السلام)، كان يشجع الناس على شكل جديد للعزاء، هو الابتعاد عن الملذات في يوم عاشوراء وارتداء الملابس السوداء إعلاناً بالحزن على المصيبة الكبرى، وكذلك على الإمساك عن الطعام والشراب في ذلك اليوم حتى غروب الشمس. مضافا إلى ذلك، أن الإمام الصادق (عليه السلام)، كان يحرص على إقامة المأتم في كل مكان حتى في البيوت، ولو بشكل منفرد، لما لها من أهمية في توارثها بين الأجيال وجعلها شعيرة دينية ثابتة (المسعودي، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ١٤٢؛ الخزاز القمي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٨؛ المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٣٦؛ ص ٣٩٠).

ومن خلال ما لاحظنا من استقراء، فإن الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، من بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، قاموا بالعمل على جعل المأتم والمجالس الحسينة شعيرة دينة. فهذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السلام) (ابن بابويه، ٢٠١٦م، ص ٥١٧؛ ابن بابويه، ١٤١٧هـ، ص ٢٠٤؛

ابن قولويه، ١٤١٧هـ، ص ١٦٨)، وحرص على ذلك الإمام الباقر (عليه السلام)، ساعيا إلى تأسيس هذه المجالس وتنفيذ مراسيمها بنحو واضح وصريح.

وأما بعد أن وصلت الإمامة إلى الإمام الصادق (عليه السلام)، فأكمل الإمام (عليه السلام)، ما كان قد قام به أسلافه من ترسيخ الشعيرة الحسينية، وألح على توسيع المراسيم والعادات الحسينية. وكان أهم هذه المراسيم من خلال الاستقراء هو التركيز على البكاء والنحيب لعظم المصيبة التي نزلت بأهل البيت (عليهم السلام)، والحرص على بث التعاليم الدينية من خلال المجالس الحسينية؛ ذلك لأن الإمام كان يعتقد أن الثورة الحسينية لا تكون إلا انتصارا للدين الإسلامي وإظهار الحق من الباطل والاستمرار في تعاليم الدين الإسلامي وأن شعيرة المجلس الحسيني وسيلة لإيصال ما عند الأئمة (عليهم السلام) من علوم وتعاليم إسلامية إلى الناس بشكل عام، والمؤمنين وموالي أهل البيت بشكل خاص.

مما تقدم ذكره، يمكن أن نقول إن مهمة أهل البيت (عليهم السلام)، بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، كانت تبيين ما كان على عاتق أتباعهم من المحافظة والمداومة على البكاء واستذكار مصيبة يوم الطف بشكل منتظم ومستمر، وتشجيع الناس أيضاً على إقامة المآتم الحسينية في بيوت الشيعة خصوصاً، وجمع أهلهم لاستذكار ما جرى من مصيبة على الحسين (عليه السلام)، وإرشاد الناس وتعليمهم آداب ذكر المصاب الحسيني على مر الأزمنة، وكيفية تقديم العزاء لبعضنا البعض في ذلك المأتم، وذكر عطش الحسين (عليه السلام)، عند شرب الماء.

مر العزاء الحسيني بمراحل متعددة منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وتحمل الأئمة المعصومون أعباء كثيرة في إظهار العزاء والمأتم الحسيني وبيان الأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام)، والكشف عن أبعاد الثورة الدينية وغاياتها وفوائدها الإنسانية والثقافية وحتى الاقتصادية والسياسية.

لاحظنا أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) عمل على جعل المأتم والعزاء الحسيني شعيرة دينية ثابتة (المسعودي، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ١٤٢؛ الخزاز القمي، ١٤٣٠هـ، ص ٢٤٨؛ المجلسي،

١٩٨٣م، ج ٣٦، ص ٣٩٠؛ ابن بابويه، ٢٠١٦ م، ص ٢٠٤؛ ابو قولويه، ١٤١٧هـ، ص ١٦٨)، وحرص على إظهار تعاليم دين الله ودين النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، رغم الضغوط الأموية. ثم بعد ذلك عمل الإمام الباقر (عليه السلام)، على تأسيس المأتم الحسيني بشكل أوسع وأفضل.

وأما بالنسبة إلى الإمام الصادق (٨، فبما أن فترة تسلمه الإمامة كانت واقعة بين الفترتين، ألا وهي سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، فتهيأت للإمام الصادق (عليه السلام) فرصة بارزة لترسيخ وتثبيت أركان العزاء الحسيني وإظهار تعاليمها وآدابها إلى العامة من الناس، الأمر الذي وفر أرضية خصبة للإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام)، حتى يُكملا المسير في تطوير وتثبيت العزاء الحسيني كشعيرة دينية.

قصارى القول، فإن أهل البيت كانوا يعملون على أن تكون المراسيم والعزاء الحسيني شعيرة دينية ثابتة لها صلة بالدين الإسلامي وتعاليمه، باعتبار أن الإمام الحسين (عليه السلام)، كان امتدادا حقيقيا للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وأن ما حملته ثورة عاشوراء سنة ٦١هـ، هي مبادئ الدين الإسلامي الحق. فمن الضروري أن تستمر تلك المبادئ على نفس الوتيرة، لتصل عبر العصور، حيث كلما اندثرت تلك الشعائر أو اختفت، انسلخ الدين أو اختفى.

يعرف عالم الاجتماع، دوركايم، الدين بأنه «منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأشياء مقدسة، أي منفصلة ومحرمة». التعريف الذي قام بذكره كايم، قد فرّق بين المعتقدات والشعائر. فيقصد من ذلك أن المعتقدات هي تجلي الأشياء المقدسة، أي ما يقوم بتقديسه الإنسان ويعتقد بها، وأنها من أصوليات الدين الذي ينتمي إليه. وأما ما يقصد من الطقوس والشعائر فما هو إلا أعمال تحدد الطرق التي يتعامل بها الإنسان مع الأشياء المقدسة. و إن ممارسة الشعائر والطقوس هو من شأنها أن تحافظ على تلك المعتقدات والطقوس وتعتبر من المقدسات الدنيوية (إدريس، ٢٠١٨ م، ص ٨٣). وأخيرا، فإنه لا يمكن للديانات القيام والاستمرار، إلا بوجود الطقوس (الماجدي، ٢٠١٦ م، ص ٣٦)، التي يمارسها أصحاب تلك الديانة لديمومة المعتقد والديانة.

الخاتمة

توصلت المقالة إلى ما يلي:

قد تم تركيز الأئمة المعصومين على البكاء بالدرجة الأولى على المصاب الذي وقع على الإمام الحسين (عليه السلام)، وأهله الطاهرين في واقعة الطف. زد على ذلك، فقد تم سنّ آداب لتقديم العزاء في اليوم العاشر من المحرم، فيما بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام). كان من وصايا الأئمة (عليهم السلام)، هو إقامة المآتم والعزاءات والمداومة عليها في بيوت المؤمنين وموالي أهل البيت، ولو بصورة منفردة. مضافا إلى ذلك، أن الأئمة (عليهم السلام)، كانوا يؤكدون على أنه بما أن الإمام الحسين (عليه السلام)، وعائلاته وأصحابه منعوا من شرب الماء وقضوا عطاشى في يوم الطف، فعلى كل شيعي أن يذكر الحسين (عليه السلام)، وأصحابه عند شرب الماء. علاوة ذلك، كان يحرص الأئمة (عليهم السلام)، على نظم الرثاء في استذكار المصيبة التي حلت بالإمام الحسين (عليه السلام)، بصورة شعرية، كما يذكرون أن الجزع واللطم وشق الجيوب إذا كانت على أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فهي أمر لا ضير فيه، بل ومن الاستحباب، وكانوا يصبون اهتمامهم على زيارة الحسين (عليه السلام)، والمداومة عليها، واستذكار مصاب الحسين (عليه السلام)، وعدم الخروج لقضاء الحوائج في اليوم العاشر من المحرم إلى غروب الشمس.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن بابويه، أبو جعفر محمد بن علي. (١٤١٧هـ). الأمالي. قم: مؤسسة البعثة.

ـــــــــــ. (٢٠١٦م). الخصال. طهران: مكتبة الصدوق.

ـــــــــــ. (١٩٦٦م). علل الشرائع. النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.

ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي. (١٣٧٥هـ). مناقب آل أبي طالب. قم: أنوار الهدى.

ابن قولويه، جعفر بن محمد. (١٤١٧هـ). كامل الزيارات. مؤسسة نشر الفقاهة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

ابن نما الحلي، نجم الدين جعفر بن محمد. (١٤١٦هـ). ذوب النضار في شرح الثأر. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

إدريس، محمد يوسف. (٢٠١٨م). علم الأديان المقارن والآفاق الجديدة للدراسات الدينية. بيروت: مؤمنون بلا حدود.

الأمين، محسن. (١٩٨٣م). أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

جماعة من المؤلفين. (١٤٣٠هـ). أعلام الهداية. ط ٢. بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت.

حب الله، حيدر. (٢٠١٥م). إضاءات في الفكر والدين والاجتماع. بيروت: مؤسسة البحوث المعاصرة.

الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن. (١٤١٢هـ). هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام. مشهد: آستانة الرضوية المقدسة، مجمع البحوث الإسلامية

ـــــــــــــ. (د.ت). وسائل الشيعة الإسلامية. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحلو، محمد علي. (١٤١٩هـ). موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي. قم: دار الكتاب الجزائري.

الخزاز القمي، أبو القاسم علي بن محمد. (١٤٣٠هـ). كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر. قم: دليل ما.

السماوي، محمد. (١٤١٩). أبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام). قم: مركز الدراسات الإسلامية الممثلة الولي الفقيه في حرس الثورة.

السيوري، جمال الدين مقداد بن عبد الله. (١٣٩٦هـ). اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية. تعليق السيد محمد علي الطباطبائي. تبريز: شفق.

شبر، جواد شبر. (١٩٨٨م). أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام. بيروت: دار المرتضى.

الصدر، محمد. (١٤٣٠هـ). أضواء على ثورة الحسين عليه السلام. النجف الأشرف: هيئة تراث السيد الشهيد الصدر.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. (١٤١٤هـ). الأمالي. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر.

ـــــــــــ. (١٩٩١م). مصباح المتهجد. بيروت: مؤسسة فقه الشيعة.

الفيض الكاشاني، محمد محسن. (١٤١٦). التفسير الصافي. ط ٢. قم: مؤسة الهادي.

الماجدي، خزعل. (٢٠١٦م). علم الأديان: تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله. بيروت: مؤمنون بلا حدود.

المامقاني، عبد الله بن محمد حسن. (١٣٥١هـ). تنقيح المقال في علم الرجال. بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (١٤٠٩هـ). أعلام النبوة. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي. (١٩٨٣م). بحار الأنوار. ط ٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (١٩٨٤م). مروج الذهب ومعادن الجوهر. قم: دار الهجرة.

References

The Holy Quran.

Amīn, Muḥsin al-. 1983. *Aʿyān al-Shīʿa*. Beirut: Dār al-Taʿāruf li-l-Maṭbūʿāt.

Fayḍ al-Kāshānī, Muḥammad Muḥsin al-. 1416 AH. *Al-Tafsīr al-ṣāfī*. Qom: Al-Hadi Institute.

Group of authors. 1430 AH. *Aʿlām al-hidāya*. Beirut: Ahl al-Bayt World Assembly.

Hilw, Muhammad Ali al-. 1419 AH. *Mawsūʿa adab al-miḥna aw shuʿarāʾ al-Muḥsin ibn ʿAlī*. Qom: Dār al-Kitāb al-Jazāʾirī.

Hubbullah, Haydar. 2015. *Iḍāʾāt fī al-fikr wa-l-dīn wa-l-ijtimāʿ*. Beirut: Muʾassasat al-Buḥūth al-Muʿāṣira.

Ḥurr al-ʿĀmilī, Abū Jaʿfar Muḥammad b. al-Ḥasan al-. 1412 AH. *Hidāyat al-umma ilā aḥkām al-ȧimma ʿalayhim al-salām*. Mashhad: Astan Quds Razavi, Islamic Research Complex.

Ḥurr al-ʿĀmilī, Abū Jaʿfar Muḥammad b. al-Ḥasan al-. n.d. *Wasāʾil al-Shīʿa al-Islāmiyya*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Ibn Bābawayh, Abū Jaʿfar Muḥammad b. ʿAlī. 1417 AH. *Al-Amālī*. Qom: al-Biʿtha Institute.

Ibn Bābawayh, Abū Jaʿfar Muḥammad b. ʿAlī. 1966. *ʿIlal al-sharāʾiʿ*. Najaf: al-Maktabat al-Ḥaydariyya.

Ibn Bābawayh, Abū Jaʿfar Muḥammad b. ʿAlī. 2016. *Al-Khiṣāl*. Tehran: Maktabat al-Ṣadūq.

Ibn Manẓūr, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn Muḥammad b. Mukarram. 1414 AH. *Lisān al-ʿArab*. Beirut: Dār Ṣādir.

Ibn Namā al-Ḥillī, Najm al-Dīn Jaʿfar b. Muḥammad. 1416 AH. *Dhawb al-nuḍār fī sharḥ al-thār*. Qom: Islamic Publishing Institute.

Ibn Qūlawayh, Jaʿfar b. Muḥammad. 1417 AH. *Kāmil al-ziyārāt*. Qom: Muʾassasa Nashr al-Fiqāha.

Ibn Sahrāshūb, Abū Jaʿfar Muḥammad b. ʿAlī. 1375 AH. *Manāqib Āl Abī Ṭālib*. Qom: Anwār al-Hudā.

Idrīs, Muḥammad Yūsuf. 2018. *ʿIlm al-adyān al-muqārin wa-l-āfāq al-jadīda li-l-dirāsāt al-dīniyya*. Beirut: Muʾminūn bi-lā-Ḥudūd.

Khazzāz al-Qummī, Abū al-Qāsim ʿAlī b. Muḥammad al-. 1430 AH. *Kifāyat al-athar fī al-naṣṣ ʿalā al-åimmat al-ithnāʿashar*. Qom: Dalil-e Ma.

Mājidī, Khazʿal al-. 2016. *ʿIlm al-adyān: tārīkhuh, mukawwinātuh, manāhijuh, aʿlāmuh, ḥāḍiruh, mustaqbaluh*. Beirut: Muʾminūn bi-lā-Ḥudūd.

Majlisī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad Bāqir b. Muḥammad Taqī. 1983. *Biḥār al-anwār*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Māmaqānī, ʿAbd Allāh b. Muḥammad Ḥasan al-. 1351 AH. *Tanqīḥ al-maqāl fī ʿilm al-rijāl*. Beirut: Muʾassasa Āl al-Bayt li-Iḥyāʾ al-Turāth.

Masʿūdī, Abū al-Ḥasan ʿAlī b. al-Ḥusayn al-. 1984. *Murūj al-dhahab wa-maʿādin al-jawhar*. Qom: Dār al-Hijra.

Māwardī, Abū al-Ḥasan ʿAlī b. Muḥammad al-. 1409 AH. *Aʿlām al-nubuwwa*. Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl.

Ṣadr, Muḥammad al-. 1430 AH. *Aḍwāʾ ʿalā thawrat al-Ḥusayn ʿalayh al-salām*. Najaf: Hayʾa Turāth al-Sayyid al-Shahīd al-Ṣadr.

Samāwī, Muḥammad al-. 1419 AH. *Abṣār al-ʿayn fī anṣār al-Ḥusayn (ʿalayh al-salām)*. Qom: Center for Islamic Studies of the Representative of the Jurist Guardian in IRGC.

Shubbar, Jawad Shubbar. 1988. *Adab al-Ṭaff aw shuʿarāʾ al-Ḥusayn ʿalayh al-salām*. Beirut: Dār al-Murtaḍā.

Suyūrī, Jamāl al-Dīn Miqdād b. ʿAbd Allāh al-. 1396 AH. *Al-Lawāmiʿ al-ilāhiyya fī al-mabāḥith al-kalāmiyya*. Annotated by al-Sayyid Muhammad Ali al-Tabatabải. Tabriz: Shafaq.

Ṭūsī, Abū Jaʿfar Muḥammad b. al-Ḥasan al-. 1414 AH. *Al-Amālī*. Qom: Dār al-Thiqāfa li-l-Ṭibāʿa wa-l-Nashr.

Ṭūsī, Abū Jaʿfar Muḥammad b. al-Ḥasan al-. 1991. *Miṣbāḥ al-mutahajjid*. Beirut: Muʾassasa Fiqh al-Shīʿa.